كتاب

مرفوض لانعرضه بل نفنده

تاليف

إبراهيم حلمى

مرفوض لانعرضه بل نفنده

عسير على الأديب الذى يتطلع ويطلع على عيون الكتب أن يقف عن حثالة مريض يتردى ويخط نفايات شيطانية ما كنت لأقف عندها لولا أن قومى فى أنحاء العالم الإسلامى أخذوا موقفا غدا التزاماً أن أسهم فيه بما يربطنى بهم من وشائج لا تنفصم عراها.

الإسلام بالقرآن الكريم أعاد بناء الأنسان على أرض الجزيرة وما حولها كتاب فجر كتبا بل مكتبات ... ولم يكن الدين موضوعها الوحيد بل الأخلاق والتشريع والاجتماع وسياسة الحكم وتقاليد السلم والحرب ويتجدد القلب فتتجدد المعانى فيه.

وتتمزق الأمة الإسلامية من الفرقة والتشتت والهوى والخطأ والخطايا أحياناً ثم لا تموت لأن هناك شيئاً خفياً وقوياً يربطها فلا تضيع، ويمسكها فلا تتهاوى ... هذا الرباط الخفى القوى هو القرآن.

من قوة الرسلام ووثوقه فى نفسه أن دعا إلى التفكير والتأمل ليس فيه ضعف يخيفه ويخفيه بتحريمه المناقشة فلسنا ضد الفكر أو الرأى لقد اعترف الإسلام بالحضارات كما انفرد بالاعتراف بالأديان السماوية قبله ... لم يكن موقفه الرفض بل القبول وهو علامة قوة ووثوق وتفتح ونفاذ. لقد خرج الإسلام من بيئة بدوية ثم انتقل إلى بيئات حضارية معرقة فى المدنية كمصر وفارس فلم يدع ولم يهدد ولم يبدد بل حفظ وصان، وأضاف، وتبادل الأخذ والعطاء فى سماحة ورضا ألان صلبة العناد وأذاب رهبة الخوف أو التهيب أو التحفظ على أقل تقدير. بل من سماحته وعالميته أن أعتبر نفسه دولة عامة يقوم بها

المسلمون جميعا حتى عاصمته السياسية سرعان ما انتقلت من موطنه الأصلى إلى الأوطان الأخرى فهى دمشق وهى بغداد وهى القاهرة.

يقول كارليل فى كتابه (الأبطال) [لو لم يكن محمد فيه صدق لما استطاع دينه أن يعطى هذه الحضارة كلها].

مهما حاول مرجفون أن يسلبوا رسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم) عطاءه فلن ينالوا شيئاً ... إن أشد الناس تعصباً لا يمكنه الإقلال من شأن النتائج الحضارية الخطيرة التى حدثت فى تاريخ البشرية وترتبت على ظهور محمد النبى العربى (صلى الله عليه وسلم)، وعلى قيامه ببث الدعوة إلى الإسلام وعلى انتشار هذا الدين فى منطقة كبيرة من العالم، فإن ما أحدثه محمد عليه السلام بدعوته، لاشك يعد نقطة تحول هامة فى مجرى حضارات العالم.

ولا يمكن مقارنة هذا الحدث بأى حدث آخر فى تاريخ البشرية.

لقد شغل الدنيا والناس والأقلام .. ألهم الكاتبين من المسلمين وغير المسلمين عشرات الكتب وألوف الصفحات بعضهم أطرى مناقبه والبعض الأخر، كابر، إذ له غرض خبئ ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الحالين كالشمس فى متوع الضحى لا يزيدها رؤية عين، ولا يغض منها ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر ... إنه على الحالين شغل الحياة والناس ... شغل التاريخ والمؤرخين دخل قلوب المؤمنين وعقول المفكرين ... قامت باسمه الدول وارتفعت أعلام. اهتزت عروش وظهرت عروش ... ولدت امبراطوريات ودالت امبراطوريات ... تغير التاريخ فى الشرق والغرب.

احترم الإسلام العقل وحرية الرأى بل شروع التحكيم الدولى وحدد المسئوليات الجنائية منها والمدنية كل هذا فى إنسانية عميقة تعى سلطان الضمير حتى لا يفلت الجانى من حسابه ولو أفلت من كل القوانين الوضعية والسلطات الحاكمة ... حتى ليعلن نقيب المحامين فى باريس أن (الشريعة الإسلامية لها من العمق والأصالة والدقة وكثرة التفريغ والصلاحية ما يقابل جميع الأحداث ولاحظ «ديورانت» فى موسوعة (قصة الحضارة) صلاحية الإسلام الذى جاء به محمد لمجتمع دائم، صلاحية تجمع بين الواقع والمثال. ويؤلف مونتجومري وات كتابا عنه بعنوان (محمد النبى ورجل الدولة) فيصفه بأنه (صاحب الامبراطورية المترامية الأطراف والتى ظهرت على مسرح الوجود بعد

وفاته) . ومونتجومرى وات يعزوها فيما يعزو من أسباب البناء المحكم الذى وضع قواعده بحيث يثبت على العواصف ... فإذا أسف إنسان حائر ضائع باع هويته وجنسيته وعقيدته فإنه لا يستحق إلا الإسقاط ... لو كان سلمان رشدى صاحب فكر علمى موضوعى لوقفنا عنده ولكن أن يسب ويقذف فذلكم هو التدنى الرخيص وكانت روايته المتخبطة كفيلة بأن تموت فى مهدها لو لم نعطه أكبر من حجمه القمىء. ربما استهواه الضجيج الذى أحدثه فيلم (الإغراء الأخير للمسيح) كما يقول الأستاذ فهمى هويدى، ذلك الفيلم الذى أثار المؤمنين فى الغرب فقرر أن يكرر التجربة مع الإسلام ونبيه فكان ما كان. وعلى الرغم من هذا لم يتأثر الإسلام.

فما ضر البحر أمسى زاخرا * أن رمى فيه غلام بحجر

إن قرار القتل رفضته دول إسلامية ولكنه الثأر القديم بين إيران والغرب وجد سببا يتعلل به. فاتفق وزراء خارجية المجموعة الأوربية على ايران وانضمت امريكا إلى الحملة حتى الوفد السوفيتى رشح «سلمان» لعضوية رئاسية فى اتحاد كتاب آسيا وافريقيا.

اشتعلت أوربا وأمريكا إلى حد الانتفاضة كما يقول الدكتور مصطفى محمود بدعوى الدفاع عن حرية الرأى أين كانت حرية الرأى عندما أعلن الباحث وأستاذ الأدب الفرنسى بجامعة السوربون (روبير فوريسون) من خلال بحث علمى دقيق كذب الزعم اليهودى بأن ألمانيا أحرقت ستة ملايين من اليهود فى افران الغاز فى الحرب العالمية الثانية وسيلة ابتزاز وتعلة لإحلال اليهود محل الشعب الفلسطينى؟

لقد تعرض الأستاذ العالم للمحاكمة القضائية سنة ١٩٨٠ وللطرد من الجامعة وللاضطهاد بكل ألوانه مما فصله الأستاذ رجاء نقاش فى عدد المصور (٨٩/٣/١٦) .

أين كانت حرية الرأى فى جرائم صبرا وشاتيلا وتعذيب الكتاب والشعراء فى الأرض المحتلة؟ إن إسرائيل تدان كل حين بجرائم تجسس فى امريكا نفسها فلا تلبث أن تحمى جرائمها فى المنطقة باستعمال الفيتو؟ .. فلا ثارت حرية الرأى هنا أو هناك. أين كانت حرية الرأى فيما تقوم به اسرائيل من الاختطاف اختطاف الأرض والبشر والوثائق والمعلومات والتراث فعلت هذا فى سيناء وفعلت هذا فى نابلس حين فرضت حظر التجول ليهدموا أثناءه المبانى ذات التاريخ وكل تراث كما جاء فى مقال الأستاذ أحمد بهاء الدين فى أهرام ٨٩/٢/٢٨.

إن من حقوق الإنسان أن يقول المرء رأيه ولكن حرية الرأى محكومة بضوابط منها أنها تنتهى عند ابتداء حرية الآخرين أو بتعبير آخر حرية الرأى ليس معناها انتهاك حرمات الآخرين والتطاول على مقدساتهم التى يعتبر احترامها من حقوق الإنسان الأساسية.

لقد منعت دول إسلامية عرض فيلم (الأغراء الأخير للمسيح) لأنه يسيئ إليه. ومن الحق أن نقول أن بعض الكنائس استنكرت رسميا الكتاب بصفته تهجما على الدين بوجه عام.

كما طالب نواب فى انجلترا الذى يقتصر قانونها على عقاب من يهين الدين المسيحى، بتعديل القانون ليشمل كافة الأديان.

وحين ندد غربيون بالعالم الإسلامى قاطبة حين أحرق بعض المسلمين نسخا من الرواية الرخيصة المبتذلة، ذكرهم الكاتب بارى جيمس فى مقال نشره بجريدة الهيرالد تريبيون بأن (حرق الكتب كان هو المسئول عن اعدام كل التراث الاغريقى العلمى والفلسفى القديم واغراق أوربا فى ظلمات القرون الوسطى تحت سطوة الكهنوت وأن الذين حفظوا التراث واوصلوه إلى أوربا كانوا المسلمين الذين قاموا من خلال ابن رشد بدور كبير فى القرن الرابع عشر وحين ترجمت أوربا عن ابن رشد استردت وعيها وبدأت عصر النهضة.

لقد صادرت مرجريت تاتشر كتاب (صائد الجواسيس) وحاولت منع بيعه حتى فى استراليا ودول الكومنولث لأن فيه ما يمس دوائر الأمن والمخابرات الإنجليزية.

فمن حق الدول الإسلامية، ممثلة فى الأنظمة السياسية أن تعلن:

١- مقاطعة أى دار نشر تصدر كتابا يمس الإسلام.

٢- رفع قضية تعويض مادى كبير فيه هذه القضية تتضامن فيها الدول الإسلامية جميعا.

٣- الاحتجاج الرسمى عليه من كافة الدولة الإسلامية طالما لا يحكمه فكر أو موضوعية بل أحقاد رخيصة وعبارات مريضة مسفه فالملاحظ والمؤسف أن هذا الحدث لاذت فيه المؤسسات السياسية بالصمت، ولم تتحرك إلا المنظمات الدينية والثقافية.

٤- منع صاحب هذا اللون، من الخوض فى الحرمات الدينية الإسلامية من دخول سائر البلاد الإسلامية .. ومثله من ظاهروه.

وعلى الجانب الايجابى _ الطويل المدى _ تأليف الكتب العلمية عن الإسلام: الفكر والشريعة والتشريع والإنسانيات وترجمة ما عندنا منها _ وهذه الحركة يقوم بها كتاب وعلماء على مستوى عال من الثقافة والتفكير كجزء جوهرى من رسالة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر والهيئات الإسلامية فى سائر العالم الإنسانى على أن يكتب الجديد، أصحابه فى لغة أجنبية حية أو يترجمها عنهم منا من يجيدون اللغات الأجنبية حتى لا نترك الغرب ميدانا للمتخبطين والشانئين وذوى الأغراض بل نرد على نحو ما فعل الأستاذ العقاد فى كتابه (ما يقال عن الإسلام) ونبرز على نحو ما فعل (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه).

ويدخل فى الحركة الفكرية التى يجب أن تقوم تصفية تراثنا مما علق به من الاسرائيليات والمدسوسات فإنها مقصد للمغرضين يستدلون به على تخريجات، الإسلام منها برئ وتصبح مجالات للتفريخ والتخريج مادمنا لا نتحرك لرفضها وإسقاطها وإظهار أسباب دسها لنطهر ساحتنا منها.

إن هذه التجربة يجب أن تكون مؤشراً إلى الغرب الذى ينساق إليه أصحاب عقدة الخواجة فيقعون فى الانبهار بكل ما ينتمى إليه غير واعين بسلاح التغريب المسلط علينا فى ثقافتنا واذاعتنا بل ووسائل حياتنا اليومية وهو موضوع كبير.

إن التمسك بديننا فى جوهره والارتفاع به على الشكليات والتمسك بتاريخنا وما أعطى والتمسك بتراثنا وما يعنيه، تماسك فى وجه الغرب الذى يريد أن يزلزل الأرض تحت أقدامنا.

يجب أن نعيد حساباتنا على ضوء ما تكشفت عنه هذه التجربة فى مناهج التعليم وقنوات الإعلام جميعا لنصحح مسارنا ونسترد شخصيتنا.

لسنا بحاجة إلى من يعلمنا حرية التعبير فقد عرف الإسلام قبل الغرب بأربعة عشر قرنا حرية التعبير بكافة ألوانه وفى أعلى مستوياته فإن كتابنا يعلمنا قول الله عز وجل (لا إكراه فى الدين) وقوله سبحانه وتعالى (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) .. حتى أولئك الذين لا يتبعون دينا سماويا أمر الرسول أن يقول لهم (لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عابدتم لكم دينكم ولى دين).

قمة أدب الحوار والخطاب.

كل يوم تشير الدلائل إلى وجوب اليقظة والاعتماد على أنفسنا، والأخذ بوسائل القوة ليعيد الغرب حساباته فى تصرفاته معنا دولا وشعوبا ..

إن الإسلام فى مسيرته الطويلة يخيف الغرب بقوته الذاتية حتى فى حالات ضعف الدول الإسلامية سياسيا .. ودليلى من يدخل فى الإسلام اليوم من أعلام الغرب أمثال العالم جارودى وحتى الذين لا يعلنون إسلامهم، معروفا عنهم قولهم:

Nous sommes a la Maison d'Arkume

إشارة إلى دار الأرقم حيث كان يلوذ المؤمنون تقية من تحيف المشركين وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

كما هاجم الإسلام مستشرقون وسياسيون. يقول لورانس بروان سافرا [الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام وفى قدرته على التوسع والتتبيع ... وفى حيويته .. إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى].

سفر طويل قام به قلب الرسول عليه السلام، أثناءه، وبعده، تحيف كاتبون، وأرجف قائلون، وحرف سامعون، وتخوف مشفقون ولكن الآية الكريمة تقول [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون] فإذا بالإسلام يزداد تمكنا ورسوخا وشموخا تجلجل فوق سامقات مآذنه فى شرق وغرب كلمة (الله اكبر).

لقد حارب «رينان» الإسلام حربا تكفل بالرد عليها الامام الشيخ محمد عبده ولكن (رينان) هذا قال فى النهاية [ما دخلت مسجدا قط إلا أعترانى شعور بالندم أننى لم أكن مسلما].

فمن يكون هذا السلمان لا سلم ولا رشدت له حياة.

لا عليك يا رسول الله إن شانئك هو الأبتر.

لقد أديت يا نبى الإسلام وأوفيت وأعليت وهديت وكنت على رأس أعظم مائة فى العالم بشهادة من لا يدينون بدينك.

لقد قدمك «مايكل هارت» فى كتابه (الخالدون مائة) على المسيح ... عليكما سلام بقدر ما دعوتما إلى سلام النفس وسلام الأرض.